

## الهوية

المبحث الثاني من القسم الثاني في كتاب Cultural Geography  
جيمس مارتن

ترجمة بتصرف  
أ.د. مضر خليل عمر

تعني "الهوية" وحدة أو تماثل غير متمايز ، وحدة تشكل " الوجود" الأساسي للكيان . في الفكر الغربي منذ أفلاطون ، غالبًا ما يُفترض أن "الحصول على هوية" هو تقديم الادعاء بأن الوجود - ما هو الكائن أساسًا - يساوي بعض الصفات الأساسية (أو الصفات). بالنسبة لأفلاطون ، وكذلك بالنسبة إلى اللاهوتيين المسيحيين اللاحقين ، على سبيل المثال ، كانت الهوية البشرية تتكون أساسًا من "روح" غير مادية وخالدة ، والجسد مجرد وعاء مؤقت لهذا الجوهر الدائم . وبالمثل ، على الرغم من تداعيات مختلفة ، تصور ديكرات وعقلانيون آخرون في القرن السابع عشر جوهر الهوية الإنسانية على أنها ملكة العقل - أي القدرة على تمييز الحقيقة من الباطل . وبالتالي ، غالبًا ما تتضمن الإشارة إلى الهوية الفردية فكرة "الذات" الداخلية أو الذاتية التي تساوي بعض الخصائص الأساسية التي تمنحها التكامل والتماسك . تحدد هذه الخصائص وتوحد معايير المعنى والخبرة الفردية ، وتوفر الأساس الذي تُبنى عليه الشخصية . ومع ذلك ، يكمن التحدي الأكبر للهوية في كيفية عزل هذا الفضاء الحميم والداخلي والذاتي عن العالم الخارجي المفترض للأشياء والعواطف والتجارب العابرة ، والتي يتم التعامل معها فقط على أنها سياقها . مع تطور الفكر الاجتماعي في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ازداد التأكيد على التأثيرات السياقية والتاريخية على الهوية البشرية .

على الرغم من أن الهويات البشرية عادةً ما يتم "الاحتفاظ بها" بشكل فردي ، إلا أنه يُنظر إليها على أنها ذات أصول اجتماعية مميزة وتعبير . على سبيل المثال ، تشير الهويات "الطبقية" أو "الجنس" أو "القومية" إلى الذات الفردية المصممة حول المحتوى المشترك لهذه الفئات الاجتماعية والممارسات المرتبطة بها . من المفترض أن تطبع الظروف الاجتماعية نفسها على الهوية لكنها في نهاية المطاف منفصلة عنها . يُقال أن ميزات مثل اللغة والقيم واللباس والأدوار والوظائف الاجتماعية ، وما إلى ذلك ، هي ظاهرة ثانوية خارجية "تكشف" أو "تعبر" عن الهوية الأساسية إلى حد أكبر أو أقل . لذلك ، غالبًا ما تُفهم الهوية على أنها تسبق التفاعلات البشرية وتوجهها ، لتكون ثابتة نسبيًا ، وهي مبدأ ثابت يمكن تمييزه عن الخصائص الطارئة والمتغيرة . وبالتالي ، فإن تعريف الهوية يعني إيصال الجانب الأساسي للذات أو الشخصية (الفردية أو الجماعية) التي تعطي معنى وقيمة لما تفعله ، وعادة ما تطلب احترامًا وتفهمًا معينين للقضايا والمشكلات التي يتعلق بها جوهرها .

أثار انتشار الهويات الثقافية والسياسية في العقود الأخيرة اهتمامًا كبيرًا بين المنظرين الاجتماعيين والسياسيين والثقافيين . الادعاءات ، على سبيل المثال ، للهويات الإقليمية والعرقية والجنسية المتميزة تحدث انشغالًا سابقًا من قبل علماء الاجتماع وعلماء النفس بهويات فردية و طبقية . لقد تحول الاهتمام النظري نحو استيعاب الطرق المختلفة التي يتم بها بناء أنواع الهوية المختلفة في سياقات اجتماعية محددة وكيف يتم تنظيم الخبرة والعمل من خلال الظروف "الخارجية" ينظر Calhoun 1994 . هذا هو الحال بشكل خاص في مجال علم النفس الاجتماعي ، حيث يتم تحليل اللغات والمعاني المشتركة في "الحياة اليومية" كعوامل في البناء "الخطابي" للهوية . ينظر ، على سبيل المثال Billig 1987 . في الفلسفة السياسية ، يوثق تشارلز تيلور (1989) تطور الهوية "الحديثة" بمرور الوقت في الفلسفة الأخلاقية والسياسية . إنه يتتبع تكوين الذات ، الذي يُنظر إليه على أنه شاغل "الفضاء الأخلاقي" ، من الفردية الذرية إلى التعددية الثقافية المعاصرة . يجادل بأن التقاليد التاريخية المختلفة تبني توجهنا نحو تقييم "الخير" و "السيئ" بطرق مختلفة . يدرس أنتوني جيدنز (1991) أيضًا الطبيعة المتغيرة للهوية فيما يسميه "الحدث المتأخرة" . وهو يجادل بأن الأفراد يبنون على نحو متزايد

"هوية ذاتية انعكاسية" ؛ أي أن المصادر التقليدية للهوية (مثل الأسرة الأبوية والدين والأمة) يتم استبدالها بدرجة أكبر من التفاوض الهادف في أنماط الحياة الفردية .

**يُعتبر بالمكان على نطاق واسع كونه بُعداً رئيسياً في تكوين الهويات الاجتماعية :** من المفهوم أن الهويات تنشأ فيما يتعلق بأماكن محددة ، إقليمية واجتماعية (Keith and Pile 1993 ؛ Carter et al. 1993). الهوية الوطنية أو الإقليمية ، على سبيل المثال ، تتضمن تصور الأشخاص لأهمية الموقع والتاريخ الإقليمي في تكوين العناصر التي تشكل هويتهم المشتركة . يمكن أيضاً تحديد "الخصائص الوطنية" ، ربما بشكل مثير للجدل ، من حيث "التقاليد" الثقافية والاجتماعية الإقليمية : عادات وثقافة الإيطاليين الجنوبيين على أنها "غير أخلاقية" وفردية ، على سبيل المثال (انظر بانفيلد 1958). وبالمثل ، يحدد الماركسيون الهويات الطبقة فيما يتعلق بوضعها داخل هيكل من علاقات الإنتاج والملكية .

**يعتقد أن عادات وافتراضات وعادات الطبقات المختلفة مشتقة إلى حد كبير من مهنة الفرد ضمن تقسيم العمل .** يتم أيضاً توزيع علاقات الإنتاج الرأسمالية جغرافياً ، وهذا يؤدي إلى اختلافات إقليمية في أنماط المعتد والسلوك والوعي الطبقي داخل الطبقات وعبرها . ينظر Massey 1995 . **الموقع المكاني مهم ، ليس فقط في توليد الخبرات والعادات المشتركة التي تشكل الهويات ولكن أيضاً في توفير "موقع" يمكن من خلاله مقاومة السلطة وعدم المساواة والأشكال الأخرى للقمع المتصور .** وهكذا يزود المصنع أو المنطقة أو الحي الحضري أو المنطقة الاستعمارية الأفراد بمساحة مغلقة نسبياً تكثف الخبرات ، سواء من القواسم المشتركة أو المسافة . قد تصبح هذه أساس الأشكال الجديدة للهوية الجماعية والحياة المدنية .

في الأونة الأخيرة ، استكشفت الدراسات النظرية الطابع الإشكالي الجوهرى لمفهوم الهوية . لقد تحددت التداخلات من مختلف المجالات ، مثل التحليل النفسي والنسوية ونظرية ما بعد الاستعمار والعديد من نظريات ما بعد الحداثة ، فكرة الهوية كنظام موحد داخلياً يمكن التعرف على معناه وتمثيله بدقة إلى حد ما (ينظر Hall 1996 ؛ Woodward 2000) . **لقد أصبحت الهوية تُفهم ليس فقط على أنها متغيرة من حيث الوقت والمكان ، ولكن على أنها تعددية ومتناقضة في جوهرها .** يتناقض هذا مع المفهوم السائد للهوية على أنها "حاوية" مستقرة متجذرة "داخل" الموضوع ومنفصلة عن الحالات الطارئة الخارجية . بدلاً من ذلك ، يُنظر إليها بشكل متزايد على أنها ليس تمييزاً لبعض السمات المتصلة أو الأساسية (مثل السبب ، والخصائص العرقية ، والموقع الطبقي ، وما إلى ذلك) ولكن كونها تكثيفاً متقطعاً ومتداخلاً وغير مستقر أحياناً للتأثيرات الاجتماعية المختلفة .

المساحة "الداخلية" للموضوع ، على سبيل المثال ، يُنظر إليها بشكل متزايد على أنها مسامية ، وسائلة ، ومفتوحة للتعديل . فبدلاً من امتلاك هوية ثابتة أو مسبقة التكوين تضمن للأشخاص تأليف أفعالهم ، أو أن تكون تعبيراً غير معدل عن الهياكل الاجتماعية ، يُفهم الذات على أنها كيان غير مكتمل ، كيان يمثل قوة نشطة في بنائه الخاص . في نظرية لاكانيان ، على سبيل المثال ، يُنظر إلى الذات على أنها مكان فارغ أو "نقص" . إن الغياب ذاته للهوية المغلقة هو الذي يجبر الأفراد على البحث عن طرق "السد الفجوة" من خلال أعمال التعريف . يكمن سر الهوية ، إذن ، في صراع مستمر لإخفاء غياب جوهرى عن طريق الدخول في النظام الرمزي أو عالم الخيال . وبالتالي فإن الادعاءات "بالانتماء" الأساسي إلى وطن أو أمة أو مجموعة عرقية هي جهود لاستدعاء الوحدة الأسطورية واستقرار الهوية المغلقة بدلاً من التعبير عن شيء موجود بالفعل . على سبيل المثال ، ناشد الفاشيون في الثلاثينيات من القرن الماضي المفاهيم المثالية للنقاء العرقى أو القومي بعبارة مثل داس فولك (الشعب) أو إيطالييتا (الإيطالية). الهوية ، إذن ، تتشكل "بأثر رجعي" ، وتقدم نفسها في تشكيلاتها المختلفة كما لو أنها سبقت لحظة تكوينها . بالنسبة لسلافوي جيچك (1989) ، هذه "كما لو" هي الآلية الحقيقية للأيديولوجيا ، لأنها تبني الذات على أنها ذات هوية عرضية ومتغيرة وغير كاملة دائماً . لقد أدى مفهوم الهوية كبناء "استطراذى" - أي بناء في اللغة وعبرها (ينظر Howarth 2000) - إلى تحويل الانتباه بعيداً عن المبادئ التأسيسية مثل "الطبيعة البشرية" أو الهياكل الاجتماعية ، وفي الوقت نفسه

، نحو الهوية " السياسة " 'حيث يُنظر إلى الاختلاف على أنه بُعد أساسي (ينظر Woodward 1997). إن الانغلاق والوحدة هما تأثير ناتج عن التمايز ، عن طريق رفع حاجز رمزي للمعنى لتمييز شيء عن آخر . وهكذا يتم تمييز الهوية "الذكورية" باختلافها عن "الأنثى" ، أو يتم إعطاء محتوى "اللغة الإنجليزية" من خلال معارضتها للهوية الأيرلندية أو الفرنسية . مثل هذه الاختلافات تحدد حدود الهوية من خلال الإشارة إلى ما هو ليس كذلك ، وبذلك تنتج بنشاط تماسكاً من خلال "تأطير" خصائص معينة بطريقة هرمية . مثل هذه الفروق ليست مفاهيمية فحسب ، بل يتم إنتاجها مادياً (على سبيل المثال ، ارتباط النساء بالأسرة والمساحة الخاصة " للمنزل ، وتقسيم مجموعات عرقية معينة ، وما إلى ذلك) ويتم تنظيمها بحيث تكون بعض الاختلافات (والمساحات) تعد متفوقة والأخرين على أنهم أقل شأنًا أو " دنيئين " ينظر Sibley 1995 وبالتالي ، فإن "امتلاك هوية" يأتي مع سلسلة من الممارسات المرتبطة التي يتم من خلالها تجسيدها وتتضمن علاقات القوة والتبعية والإقصاء .

توجه هذه الأفكار إلى نظريات ما بعد البنيوية على نطاق واسع ، والتي تنظر إلى ممارسات وعمليات القوة التي تصوغ الهوية بطرق مختلفة . يعد استخدام جوديث بتلر لمفهوم ميشيل فوكو عن "التخصيص" لنقد المفاهيم الجنسية المغايرة للهوية الجندرية أحد الأمثلة على ذلك . يجادل بتلر (1993 ، 1999) ضد فكرة أن الهوية الجنسية تقوم على تقسيم جنسي طبيعي بين "الذكر" و "الأنثى" . بدلاً من ذلك ، يتم "أداء" هذا التمييز من خلال العديد من الممارسات الاجتماعية المؤسسية والمواقع ذات القوة "الخبيثة" التي تستدعي الهوية الجنسية وتجسدها وتطبعها . ومع ذلك ، فإن تأثيرهم هو أيضاً تهميش هويات المثليين والمثليات التي لا تتناسب مع الإطار المهيمن ، والذي تسميه "المعيارية غير المتجانسة" . وتجادل بأن الحقد يبدو جوهرياً في أي جهد لتأكيد نوع مهيم من الهوية . لكنها أيضاً منتجة لأشكال مختلفة من الهوية المتعدية التي تقوض الطبيعة المقترضة للأعراف الاجتماعية . في مثالها الشهير ، يعد ارتداء الملابس المتقاطعة محاكاة ساخرة للهوية الجنسية التي تعزز فكرة الاختلاف الجنسي وتكشف عن احتمال حدوثها عند الأداء ومن ثم انفتاحها على التلاعب (الخطابي) .

إذا كانت الهويات مبنية بشكل استطرادي ومتعددة ومتناقضة ومعرضة للانتهاك ، فمن النادر مع ذلك أن يتم اختبارها بشكل واضح على هذا النحو . غالباً ما يتم استدعاء الهوية للدلالة على نظام داخلي ، مهما كان وهمياً وفقاً للنظرية الثقافية المعاصرة ، فإنها تشير إلى فكرة الذات المستقرة التي توجد مسبقاً تفاعلات اجتماعية محددة . عند ملء النماذج ، يقوم الكثير منا بوضع علامة في المربع الذي يشير إلى "جنسيتنا" أو "جنسنا" دون أدنى شك . عندما نسافر إلى الخارج ، غالباً ما نفهم إحساسنا بالاختلافات الثقافية من حيث الفطرة السليمة "هم" و "نحن" . وبالتالي ، غالباً لا ينظر إلى الهويات من قبل أولئك الذين يعدونها مؤقتة ومصطنعة ولكن كأساسية وشخصية بشكل مكثف . يجادل إرنستو لاكلو (1990) في أن الهويات على وجه التحديد تنفجر إلى التماسك الأساسي التي يتم اختبارها على أنها طموح إلى الامتلاء . كل الهويات ، كما يدعي (بعد لاكان ودريدا) ، " مفككة " - أي أنها اختبرت على أنها غير مكتملة جزئياً لأنه لا يمكن تشكيلها إلا من خلال تمايز يحد في نفس الوقت من الهوية بجعلها معتمدة على وجود " الآخر " . لا ينطوي التفكك تلقائياً على أزمة أو عدم استقرار تام ، ولكن في سياقات معينة - من اضطراب اجتماعي واقتصادي كبير ، على سبيل المثال - يمكن لتحديات الهوية الشخصية والجماعية أن تضاعف الاضطرابات إلى الدرجة التي تصبح فيها إعادة تأكيد الهوية الكاملة أمراً ضرورياً . يجادل لاكلو (1996) أنه في مثل هذه اللحظات ، يكون الأفراد منفتحون على جاذبية "الدوال الفارغة" - أي المبادئ الأساسية التي ترمز إلى نظام مستقر قادم . تتضمن الدلالات الفارغة مفاهيم "العدالة" ، "الحرية" ، "الاستقلال الوطني" ، إلخ ؛ فهي فارغة على وجه التحديد لأنها لا تحتوي على أي محتوى محدد على هذا النحو ولكنها تعمل بمثابة "الأفق" لكل المعاني . تقدم الدلالات مثل هذه الهويات المفككة شعوراً قوياً ، وإن كان وهمياً ، بأن هويتهم "محبوبة" فقط من خلال التدخل التعسفي للأخرين (مثل "الأجانب" و "الكفار" والرأسماليين ، إلخ). بمجرد إزالة هذا الانسداد ، يمكن للهوية ، كما يُفترض ، أن تعود إلى تعبيرها الطبيعي والكامل .

وفقاً لمانويل كاستلس (1997) ، فإن التفكك والمقاومة في سياسات الهوية لهما أعمق تعبير في سياق العولمة . بالنسبة له ، **تتضمن العولمة تشكيل "مجتمع شبكي" حول تقنية المعلومات عالية السرعة وإعادة الهيكلة الرأسمالية** . ينتج عن ذلك "مساحة من التدفقات" و "الزمن الخالد" ، مما يؤدي إلى تعطيل وإضعاف التقاليد الثقافية المحلية ومؤسسات الدولة الوطنية والأنظمة الاقتصادية لصالح النخب الرأسمالية وعلى حساب السكان الأصليين ينظر Castells 2000 هذه العمليات لها تأثيرات متعددة على تكوين الهويات الاجتماعية في جميع أنحاء العالم . ينظر أيضاً Massey 1994 . فإن سياسات الهوية في مجتمع الشبكة ، كما يجادل كاستلس ، **تعتمد بشكل متزايد على المقاومة المجتمعية للثقافة العالمية المنفردة والفردية** . في شكله "التفاعلي" أو الدفاعي ، يتجلى ذلك في ظهور الأصولية الدينية (المسيحية والإسلامية على سبيل المثال) والحركات العرقية التي تسعى إلى "اللجوء والتضامن" في الهوية المجتمعية . بدلاً من ذلك ، يوجد نوع أكثر إيجابية و "استباقية" للمقاومة في الحركات الاجتماعية التي تتحدى العمليات العالمية باسم كل من هوياتهم المحلية و "الإنسانية" . تقوم هذه المجموعات - المتنوعة مثل الحركات البيئية وزاباتيسا المكسيك - بحملة من خلال ربط المحلي بالعالمي والسعي لاستحضار فكرة المسؤولية العالمية .

#### KEY REFERENCES

- Calhoun, C. ed. 1994. Social Theory and the Politics of Identity. Oxford, Blackwell. Castells, M. 1997. The Power of Identity. The Information Age: Economy, Society and Culture (vol. 3). Oxford, Blackwell.  
Hall, S. 1996. Introduction: who needs identity?, in S. Hall and P. du Gay eds. Questions of Cultural Identity. London, Sage.  
Keith, M. and Pile, S. eds. 1993. Place and the Politics of Identity. London, Routledge.  
Laclau, E. 1996. Emancipation(s). London and New York, Verso.

#### OTHER REFERENCES

- Banfield, E. C. 1958. The Moral Basis of a Backward Society. New York and London, Free Press.  
Billig, M. 1987. Arguing and Thinking: A Rhetorical Approach to Social Psychology. Cambridge, Cambridge University Press.  
Butler J. 1993. Bodies that Matter: On the Discursive Limits of 'Sex'. New York and London, Routledge.  
Butler, J. 1999. Gender Trouble (2nd ed.). New York and London, Routledge.  
Carter, E., Donald, J. and Squires, J. eds. 1993. Space and Place: Theories of Identity and Location. London, Lawrence and Wishart. Castells, M. 1983. The City and the Grassroots: A Cross-cultural Theory of Urban Social Movements. London, Arnold.  
Castells, M. 2000. The Rise of the Network Society The Information Age: Economy, Society and Culture (vol. 1) (2nd ed.). Oxford and Malden, MA, Blackwell.  
Giddens, A. 1991. Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age. Cambridge, Polity.  
Howarth, D. 2000. Discourse. Buckingham, Open University Press.  
Laclau, E. 1990. New Reflections on the Revolution of Our Time. London and New York, Verso.  
Laclau, E. ed. 1994. The Making of Political Identities. London and New York, Verso.  
Massey, D. 1994. Space, Place and Gender. Cambridge, Polity.  
Massey, D. 1995. Spatial Divisions of Labour: Social Structures and the Geography of Production (2nd ed.). Basingstoke, Macmillan.  
Sennett, R. 1973. The Uses of Disorder: Personal Identity and City Life. Harmondsworth, Penguin.  
Sibley, D. 1995. Geographies of Exclusion: Society and Difference in the West. London and New York, Routledge.  
Stavarakakis, Y. 1999. Lacan and the Political. London, Routledge.  
Taylor, C. 1989. Sources of the Self. Cambridge, Cambridge University Press. Woodward, K. ed. 1997. Identity and Difference. London, Sage (in association with the Open University).  
Woodward, K. ed. 2000. Questioning Identity: Gender, Class, Nation. London, Routledge (in association with the Open University).  
Zizek, S. 1989. The Sublime Object of Ideology. London and New York, Verso.